

من معالم الحجّ والزيارة

عبد الهادي الفضلي

قرن المنازل

قرن - بفتح القاف وسكون الراء -، وضبطه الجوهري في (الصحاح) بفتح القاف والراء معاً، وغلطه الفيروزآبادي في (القاموس) في تحريكه الراء، قال ابن حجر في (فتح الباري): «وضبطه صاحب الصحاح بفتح الراء، وغلطوه، وبالغ النووي فحكى الاتفاق على تخطئته في ذلك، لكن حكى عياض تعليق القابسي: أن من قاله بالإسكان أراد الجبل، ومن قاله بالفتح أراد الطريق».

ولأن كلمة (قرن) تطلق في بعض معانيها - على (الجبل الصغير المنفرد) كانت تطلق على جبل صغير منفرد في موضع الميقات المعروف بـ(قرن المنازل)، وبه سميت القرية التي هو فيها، وكذلك سمي الوادي الذي هو فيه، من باب تسمية الكل باسم الجزء، فقبل لكل واحد منهما قرن المنازل.

ومن هنا قال الفيروزآبادي في (القاموس): «وهي قرية عند الطائف أو اسم الوادي كله».



ولعل إضافة (قرن) إلى (المنازل) لأنه القرن الوحيد الواقع في مراحل ومنازل طريق الطائف إلى مكة المار بنخلة اليمانية.

وكثيراً ما تختصر العبارة فيقال (قرن) من غير إضافة، خاصة في كتب البلدان كما في أمثال (المناسك) للحربي، و (صفة جزيرة العرب) للهمداني وغيرهما، وربما كان هذا لشهرته، أو لأنه لا يوجد قرن - بالمعنى الذي ذكرناه - في مراحل ومنازل الطريق المذكور غيره.

ويقع قرن المنازل مرحلة أو منزلاً من منازل طريق الحاج من الطائف على نخلة اليمانية، قال الحربي في (المناسك): «طريق الطائف: تخرج من عرفة على جبل يقال له (كراً) يظهر على حرّة كثيرة المنابت يقال لها (الهدّة) ومن الهدّة إلى الطائف.

وله طريق أخرى على موضع يقال له (زَيْمَة) ينفرد من (مُشاش) ثم (قرن المنازل)، وهو الموضع الذي وقته رسول الله ﷺ لأهل نجد حين قال: (ويهلّ أهل نجد من قرن)، ثم من قرن المنازل إلى الطائف .. وهذه الطريق ثلاثة أيام، والطريق الأول يومان».

والطريق القديمة التي كانت تمر بقرن المنازل هي:

١ - طريق الطائف:

يمرّ بالمليح (ويسمى الآن السيل الصغير) فقرن المنازل (ويسمى الآن السيل الكبير) فالبوابة (وتسمى الآن البهيتاء) فوادي نخلة اليمانية، فقريّة الزيمة فوادي سبوحة فوادي يدعان (جدعان) فالشرائع (حنين) فالجرانة فمكة المكرمة. ويعرف هذا الطريق بطريق نخلة اليمانية.

أما الآن فقد اختصر هذا الطريق وكالتالي: الطائف - الحوية - السيل

الصغير - السيل الكبير (قرن المنازل) - الزيمة - الشرائع - الجعرانة - مكة.

٢ - طريق اليمن:

وطرق اليمن التي تمرّ على قرن المنازل هي:

أ - طريق صنعاء - صعدة:

يمرّ ببيشة فوادي تربة فقرن المنازل (السيل الكبير).

ب - طريق حضرموت - نجران:

يلتقي مع الطريق السابق بقرن تثليث، فوادي تربة، فقرن المنازل (السيل

الكبير).

٣ - طريق اليمامة (نجد):

أ - طريق جنوبي اليمامة:

يمرّ بوادي الدواسر، فالافلاج، ثم يجتمع مع طريق اليمامة بقرن المنازل

(السيل الكبير).

ب - طريق وسط اليمامة:

يمرّ بالمويه فعشيرة، ثم يلتقي مع طريق الطائف ماراً بالحوية، فالسيل

الصغير، فالسيل الكبير (قرن المنازل).

والطريقان الرئيسان اللذان ينطلقان من الطائف والرياض (نجد) ويمران

بقرن المنازل - في أيامنا هذه - هما:

الطائف
الرياض

الحوية - السيل الصغير - السيل الكبير (قرن المنازل).



وقرن المنازل - الآن - هو قرية صغيرة تعرف باسم (السييل) و (السييل الكبير) تميزاً لها من قرية (السييل الصغير) التي تقع قبلها للقادم من الطائف أو الرياض.

فيها مسجدان قديمان، ومسجد ثالث حديث أنشأته الحكومة السعودية للإحرام منه.

وتبعد عن مكة بحوالي ثمانين كيلومتراً على طريق الرياض - مكة، المتجه إلى الطائف بمنعطف على اليمين عند الحوية ماراً بالسييل الصغير فقرية السييل الكبير.

ويمتد وادي السييل أو القرن إلى حدود وادي الغديرين قريباً من مرتفع الهدأ، حيث يقع (وادي محرم) الذي هو منتهى قرن المنازل على رأي البعض، أو محاذٍ لقرن المنازل كما هو المشهور.

ومن المفيد أن أشير - هنا - إلى مفارقة خلط بين قرن المنازل الميقات الأصلي ومحاذيه وادي محرم، بسبب خطأ لغوي وقع فيه المطرزي وتابعه عليه جملة من الفقهاء، وخلاصتها هي:

إن كلمة (قرن) في لغتنا العربية هي من المشترك اللفظي الذي يستعمل في أكثر من معنى.

وقاربت معاني كلمة (قرن) في معجماتنا اللغوية الثلاثين معنى أو جاوزتها. ومن معانيها التي ذكرت أنها اسم لعدة مواضع، بعضها في منطقة الحج، وبعضها خارجها.

والمفارقة وقعت في الخلط والاشتباه عند تحديد المواضع الواقعة في منطقة الحج.

فلنتعرف المواضع التي هي في منطقة الحج حسبما ذكرت في المعاجم العربية،

ثم نوضح المفارقة بعد ذلك من خلال درسنا لعبارات اللغويين في معاجمهم.

والمواضع التي في منطقة الحج هي:

- ١- جبل مطل أو مشرف على عرفات.
- ٢- قرية عند الطائف أو اسم الوادي كله.
- ٣- القرن الثعالب.

وإذا حاولنا أن نعين ونحدد موقع الموضع الأول الذي هو الجبل المطل أو المشرف على عرفات علينا أن نتعرف أولاً معنى (مطل) أو (مشرف)، فانهم يقولون (أشرف على المكان): اطلع عليه من فوق، وكذلك (أطل على المكان) بمعنى أشرف أي اطلع عليه من فوق، فـ(مطل) و (مشرف) إذا عُديا بحرف الجر (على) يترادفان على معنى واحد، وهو الاطلاع على الشيء أو المكان من فوق، أو قل: رؤيتهما من على مرتفع.

ومعنى هذا أن من يصعد الجبل المذكور يطل على عرفات ويراه، وهذا يعني أن الجبل المذكور إما هو واقع في جانب من جوانب عرفات، أو في مكان قريب منها يساعد على رؤيتها من فوقه.

وهناك حديث يُحدِّد فيه موقف رسول الله ﷺ يوم الموقف في عرفة يستفاد منه أن الجبل المشرف على عرفات هو (جبل الرحمة) في عرفات فإنه قرن (أي جبل صغير منفرد)، وأسود اللون كما وصف في الحديث، فقد جاء في (التاج) للزبيدي: «... (و) قرن (جبل مطل على عرفات) عن الأصمعي، وقال ابن الأثير: هو جبل صغير، وبه فسر الحديث: أنه وقف على طرف القرن الأسود».

وقال البلادي في (معجم معالم الحجاز): «قوله - يعني الأصمعي - (ومقصد قرنٍ مطل على عرفات): «ذلك ما يعرف اليوم باسم القرين، وجبل الرحمة وجبل



عرفات، وذكر قديماً باسم إلال، وليس هو قرن المنازل ميقات أهل اليمن». أما القرية عند الطائف أو الوادي فقد جاءت معنى لمعاني قرن في قائمة (القاموس المحيط)، قال مؤلفه - وهو يعدد معاني الكلمة - ما نصه: «وجبل مطل على عرفات، والحجر الأملس النقي، وميقات أهل نجد، وهي قرية عند الطائف أو اسم الوادي كله».

وعين الزبيدي المعنى الأخير - وهو يشرح قول صاحب القاموس - بقرن المنازل، قال: «... (و) قرن المنازل (ميقات أهل نجد، وهي قرية عند الطائف». وبالنسبة إلى قرن الثعالب فقد ذكر أنه اسم لموضعين، هما: - قرن المنازل.

أي أنه اسم ثان لما يعرف بقرن المنازل، قال ابن الأثير في (النهاية): «وفي حديث المواقيت: أنه وقت لأهل نجد قرناً، وفي رواية: قرن المنازل، هو اسم موضع يجرم منه أهل نجد، وكثير ممن لا يعرف يفتح راءه، وإنما هو بالسكون، ويسمى أيضاً قرن الثعالب».

وقال الطريحي في (المجمع): «والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد، ويسمى أيضاً قرن المنازل وقرن الثعالب».

- والموضع الثاني المسمى بقرن الثعالب: جبل مشرف على أسفل منى، بينه وبين مسجدها (مسجد الخيف) ألف وخمسمائة ذراع.

ممن ذكر هذا الفاضل الهندي في (كشف اللثام) كما حكاه عنه النجفي في (الجواهر) والحكيم في (المستمسك).

وقال البلادي في (المعجم): «وقرن الثعالب كان ببنى، اكيمة صغيرة، ثم أزيلت».

وبعد أن تعرفنا واستوضحنا تعيين وتحديد المواضع المذكورة ننقل إلى

نقل بعض عبائر المعجميين التي ترتبط بالاشتباه الذي أشرت إليه، وكالتالي:
قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ) في (الصحاح): «والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد».

وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) في (النهاية): «وفي حديث المواقيت: أنه وقت لأهل نجد قرناً، وفي رواية: قرن المنازل، هو اسم موضع يحرم منه أهل نجد». وهذا التعريفان - كما تراهما - ليس فيهما تعيين وتحديد للموضع. ثم قال المطرزي (ت ٦١٦هـ) - وهو معاصر لابن الأثير - في (المغرب): «والقرن: ميقات أهل نجد، جبل مشرف على عرفات، قال:

لم تسأل الربع أن ينطقاً قرن المنازل قد أخلقا

وفي (الصحاح) بالتحريك، وفيه نظر».

وعبارته المذكورة واضحة في أنه يعين قرن المنازل بالجبل المشرف على

عرفات.

ثم يأتي من بعده الفيومي (ت ٧٧٠هـ) فيقول في (المصباح): «وقرن - بالسكون أيضاً - ميقات أهل نجد وهو جبل مشرف على عرفات، ويقال: قرن المنازل وقرن الثعالب».

وعبارته - هي الأخرى - واضحة في تعيين قرن المنازل بالجبل المشرف

على عرفات.

وبعد الشيخين المطرزي والفيومي يأتي الفيروزآبادي (ت ٨١٦هـ)، فيذكر في (القاموس) - وهو في معرض تعداد معاني كلمة قرن - المعاني الثلاثة التالية حيث يقول: «وجبل مطل على عرفات، والحجر الأملس النقي، وميقات أهل نجد وهي قرية عند الطائف أو اسم الوادي كله».

وعبارته واضحة في أن الجبل المطل على عرفات غير ميقات أهل نجد،



وذلك بقرينة العطف والفصل بينهما بالمعنى الآخر وهو (الحجر الأملس النقي).
كما أنها واضحة في أن الميقات قرية أو واد وليس جبلاً.

وهنا نقول: إن المفارقة جاءت من سقوط الواو العاطفة من عبارة المطرزي، فبدل أن يقول (والقرن ميقات أهل نجد جبل مشرف على عرفات) كان ينبغي أن يقول: (والقرن ميقات أهل نجد وجبل مشرف على عرفات) بإضافة أداة العطف.

وقد يرجع هذا إلى خطأ النسخ، أو خطأ في الطبع أو إلى سهو من المطرزي لأنه لم يكن من اللغويين المحققين.

ويبدو أن الفيومي في (المصباح) أراد أن يصحح عبارة المطرزي في المغرب المذكورة في أعلاه استظهاراً منه بأن الذي أراد ذكره المطرزي هو معنى واحد لا معنيان، فقال: القرن: ميقات أهل نجد وهو جبل مشرف على عرفات فأوهم بإضافته عبارة (وهو) على نصّ المطرزي أن عبارة (جبل مشرف على عرفات) وصف لميقات أهل نجد فأوقع في هذا الوهم بعض من رجع إليهما من مؤلفي وشرح المناسك، أمثال: حسين بن محمد سعيد بن عبدالغني المكي الحنفي في حاشيته الموسومة بـ (إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري) فقد جاء في الصفحة ٥٥ منها ما نصّه: «قوله: وهي قرية عند الطائف: قال في المغرب: وقرن: ميقات أهل نجد جبل مشرف على عرفات ١ هـ. ومثله في المصباح. وفي شرح المصباح: قرن: جبل أملس كأنه بيضة في تدوره وهو مطل على عرفات، وعليه جرى في (البحر الرائق)، فقال: هو جبل مطل على عرفة. ومثله في شرح الشيخ عبدالله العفيف والشيخ عبد الرحمن المرشدي في شرح مناسك الكنز، وشرح ابنه، وشرح الشيخ حنيف الدين المرشدي».

ونقرأ مثل هذا في (الرياض) للسيد الطباطبائي، ففيه: «يقال له قرن

الثعالب، وقرن بلا إضافة، وهو جبل مشرف على عرفات على مرحلتين من مكة»، وفي (كشف اللثام) للفاضل الهندي، ففي (الجواهر): «وفي كشف اللثام: فانه جبل مشرف على عرفات، على مرحلتين من مكة»، وفي (المناهج) للماقاني، قال: «قرن المنازل: وهو جبل مشرف على عرفات، على مرحلتين من مكة، وهو ميقات أهل الطائف»، وفي (الموجز) لأستاذنا الشهيد الصدر، قال: «الثالث: قرن المنازل، ويقع في جبل مشرف على عرفات».

ويبدو أن تعريف الميقات بالجبل المشرف على عرفات، أوقع البعض في الحيرة حيث لا يوجد قريب من عرفات جبل يصدق عليه معنى الإشراف والإطلال، ففسر هذا بـ(جبل كَرَا).

قال القاضي عيّد في شرح المناسك: «وهذا الجبل يسمى عند أهل مكة، وأهل تلك النواحي (كَرَا) بفتح الكاف والراء المهملة، ويوافق ما ذكره الشارح ﷺ ما في القاموس حيث قال في تعداده معنى (قرن): جبل مطل على عرفة والحجر الأملس التقي ميقات أهل نجد وهو قرية عند الطائف واسم الوادي كله اهـ.. وعبارة الشيخ القطبي في منسكه: وهو جبل فيه بعض القرى بقرب الطائف وبه مزارع وبساتين ويجلب منها الفواكه إلى مكة اهـ.. أقول: واسم القرية المذكورة (الهدا) اهـ.. ويلاحظ عليه:

١- أنه توهم من عبارتي المطرزي والفيومي أن قولهما (جبل مشرف على عرفات) صفة للميقات، ثم أراد أن يوفق بين عبارتهما المذكورة وعبارة الفيروزآبادي ليتم له بأن الميقات هو الجبل المشرف أو المطل على عرفات، وذلك لأن الواو لو ذكرت لوقفت عائناً أمام تمامية الاستدلال، ولأن الواو أيضاً تفيد بأن الميقات معنى آخر من معاني كلمة (قرن) .. وفاته أن كلمة (ميقات) في



عبارة القاموس مسبوقة بمعنيين لكلمة (قرن) هما: الجبل المطلّ على عرفات والحجر الأملس، وهذا يعني أن كلمة (مِيقَات) لو أخذت مرتبطة بما قبلها تفيد أن المِيقَات هو الحجر الأملس لا الجبل المشرف، فلا يتم له بها الاحتجاج. وكان عليه أن يتنبه لما في عبارتي المطرزي والقيومي من خطأ ويصححهما بما ورد في النهاية والقاموس والتاج وغيرها من المعاجم الأخرى.

٢- أن القرية (الهدا) الواقعة على جبل (كرا) لم يقل أحد بجواز الإحرام من أي موضع منها، بل أوجبوا الإحرام من الموضع المعروف بـ (وادي محرم) - وهو في طرفها مما يلي الطائف - وذلك إما لأن وادي محرم نهاية قرن المنازل أو لأنه محاذ لقرن المنازل، بينما جوزوا الإحرام في قرية السيل من أي موضع فيها.

٣- أن جبل كرا بينه وبين وادي عرفات: وادي كرا الكبير ووادي نعمان فلا يصدق عليه أنه مطلّ أو مشرف على عرفات، وهو في واقعه، وكما يشاهده الرائي يطلّ على وادي كرا الكبير الذي يتصل بعد مسافة طويلة تعد بعشرات الكيلومترات بوادي نعمان المتصل بوادي عرفات.

٤- أن الذي يفهم وبوضوح من عبارة أرباب المعاجم (القرن: جبل مطلّ أو مشرف على عرفات) هو أن الجبل المطلّ أو المشرف على عرفات اسمه (قرن)، وهو من دون إضافة إلى (المنازل) أو (الثعالب) أو غيرهما، فتفسيره بقرن المنازل يحتاج إلى دليل، مضافاً إلى ما بيناه من أنه هو جبل الرحمة. وأخيراً: ينبغي أن نشير هنا أيضاً إلى شيئين هما:

١- أن قرن المنازل قد يسمى قرن الثعالب، كما نصّ على هذا غير واحد من المعاجم.

٢- أن هناك موضعاً آخر يقع أسفل منى بالقرب من مسجد الخيف يسمى بقرن الثعالب أيضاً.